الفصل الأول

علم الببليوغرافيا وتطور معناه تاريخيا

obeikandl.com

obeikandl.com

علم البيبليوغرافيا وتطور معناه تاريخيا

أصل المصطلح :

أخذت البيبليوغرافيا، وهى فن أو علم وصف الكتب، أهمية خاصة فى القرن العشرين بسبب :

- الحاجة إلى تنظيم فعال لوثائق الاتصال الانسانية فى العصر الحديث فى مواجهة النمو الضخم لنشاط النشر.
- الحاجة فى البلاد النامية بوجه خاص للوصول الى المعلومات العلمية والتقنية.

وقد قيل بحق أنه بدون البيبليوغرافيا تصبح وثائق المدنية عدماء لا معالم لها من مساهمات متفرقة فى المعرفة غير منظمة وغير قابلة للتطبيق بالنسبة للاحتياجات الإنسانية.

وكلمة بيبليوغرافيا جاءت أصلا من اللغة اليونانية، وهى مركبة من كلمتين يونانيتين، الأولى (Biblion)، أى كتيب وهى صورة التصغير المأخوذة من (Biblos) بمعنى كتاب، وكلمة (Graphia) وهى اسم الفعل المأخوذ من (Graphien) بمعنى ينسخ، وعند تركيبهما معا تبدو الكلمة هكذا (Bibliographia). هذا ولقد أخذتها اللغة اللاتينية كما هى دون تغيير، وقد دخلت الى اللغة العربية معربة فى العصر الحديث، وأصبحت مصطلحا شائعا يدل على علم مستقل يعتبر من أهم الفروع لعلوم المكتبات والمعلومات حيث تغطى البيبليوغرافيا بدراساتها وممارساتها شبكة متداخلة

من الموضوعات، ومجموعة معقدة من الأساليب والمعالجات لأنها تتناول الانتاج الفكرى للإنسان بإطاره الذى يتسع كل يوم[1].

وتعنى كلمة الببليوغرافيا فى أصلها اللغوى وكما استخدمت فى العصر الهلينستى «كتابة الكتب» أو «نسخ الكتب» وقد انتقلت الى اللغة اللاتينية ومنها الى اللغات الاوروبية الحديثة، ومن ثم لأكثر لغات العالم فيما بعد.

وقد تغير معناها بعد القرن السابع عشر من «نسخ الكتب» الى مدلول فكرى عام هو «الكتابة عن الكتب».

وانتقال المعنى هذا يعد نسبياً حديثا، إذ يذكر لروى هارولد ليندر بأن «أول استعمال لكلمة ببليوغرافيا بهذا المعنى حدث لأول مرة سنة 1633 م باصدار الببليوغرافية السياسية التى أعدها جابريال نوديه[2]، وتؤكد نويل مالكليس ذلك[3].

ولقد مرت الكلمة أو المصطلح «ببليوغرافيا» بعدة تطورات ومراحل منذ القرن السابع عشر وحتى القرن الحالى.. فمثلا عرف قاموس (Fenning) والذى نشر فى عام ١٧٦١م الببليوغرافى: «بأنه الشخص الذى يكتب أو ينسخ الكتب»[4]، ثم حدث انتقال هام لمعنى اللفظ من «كتابة الكتب»

(1) سعد محمد الهجرسى. الببليوغرافيا ودراستها فى علوم المكتبات، القاهرة: جمعية المكتبات المدرسية، 1974 ص10.

(2) لروى هارولد ليندر. نشأة الببليوغرافيا الوطنية الشاملة الجارية، ترجمة عبدالمنعم محمد موسى، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1984 ص 7.

(3) نويل مالكليس لويز: الببليوغرافيا، ترجمة بهيج عثمان، مراجعة نصرى زغيب، بيروت: منشورات عويدات 1989 ص 8 –21.

(4) chakraborti, M. L.. Bibliography in theory and practice. World. Press. Calcutta: 1971. P.1.

الى «الكتابة عن الكتب»، حيث حدث هذا الانتقال لأول مرة فى فرنسا سنة 1763 م، ثم شاع هذا المعنى وهو «الكتابة عن الكتب» ويعتبر معنى واسعا تندرج تحته موضوعات عدة، ومات المعنى الأول القديم وهو «نسخ الكتب» منذ أواخر القرن الثامن عشر، وأصبح المعنى الشائع هو «الكتابة عن الكتب». ومازال هذا المعنى عاما وواسعا ومن ثم حدثت تطورات تالية.

وفى قاموس اكسفورد نجد أن المصطلح قد مر بالصيغ التالية بحسب ترتيب ظهورها التاريخى:(5).

أ - البيبليوغرافى (Bibliographer)

1- كاتب الكتب أو الناسخ: وذكر أن هذا المعنى قد استخدم سنة 1656 م، وقد استخدمه الكاتب (Blount) والكاتب (Fenning) سنة 1761م، وهذا المعنى اصبح مهجورا الآن، وذلك ما ذكر فى قاموس اكسفورد.

2 - البيبليوغرافى: هو من يكتب عن الكتب، واصفا تأليفها وطباعتها ونشرها.. الخ، واستشهد قاموس اكسفورد على ذلك بنصين لكاتبين أحدهما (Dibdin) سنة 1814م، والآخر (Buckle) سنة 1869م.

ب - البيبليوغرافيا (Bibliography).

1- «كتابة الكتب أو نسخها» كان قد استخدم سنة 1678م وهو معنى مهجور.

2 - الوصف المنهجى للكتب وتاريخها وتأليفها وطباعتها ونشرها، وطبعاتها.. الخ. وقد استشهد قاموس اكسفورد على ذلك بعدد من الاستشهادات ظهرت فى السنوات 1814م، 1854م، 1870 م.

(5) The Oxford English Dictionary. Vol. I (A.B). P. 846.

3- الكتاب الذى يتضمن مثل هذه التفاصيل، وظهر هذا المعنى سنة 1838م.

4- قائمة كتب لمؤلف معين أو طابع معين أو بلد ما، أو عن فكرة معينة أو عن أدب موضوع معين.. وظهر هذا المعنى فى الفترة ما بين 1869- 1879م، واستشهد قاموس اكسفورد بنصوص على هذا المعنى(6).

جـ - **(Bibliographical)**. خاص بالببليوغرافيا وظهر فى سنة 1802 م، كما عرفت صيغة أخرى لهذه الوظيفة سنة 1847 وهى (**Bibliographic**).

د - **(Bibliographically)**. وهى ما اتصل بالببليوغرافيا وظهر هذا المعنى سنة 1824م.

هـ - **(Bibliographize)**. وتعنى كتابة الببليوغرافيا وظهر سنة 1824م.

وقد تتبع بولارد (A. W. pollard) (1859 - 1944) م(7) تطور استعمال اللفظ فى الطبعة الحادية عشرة من الموسوعة البريطانية حيث ذكر أنه فى فرنسا وفى ا لقرن الثامن عشر حدث تحول من معنى «كتابة الكتب» الى «الكتابة عن الكتب» وكان ذلك مرتبطا بانتشار هذا النوع من الكتابة، وخاصة تحت دافع الموجة الجديدة من تجميع الكتب وخاصة بفرنسا. وعرف الببليوغرافى بأنه الشخص الذى يقوم بدراسة خاصة لمعرفة الكتب والتاريخ الادبى، وكل ما اتصل بفن الطباعة «طباعة الكتب» ثم انتشر هذا المعنى فى القرن التاسع عشر ولقى شيوعا على ألسنة الكتاب.

هذا وقد فضل بعض الباحثين مصطلحا آخر ليغطى هذا المعنى وهو

(6) Ibid.

(7) Encyclopedia. Britannica. llth ed, 1911 , Vol . 3. P. 908.

مصطلح (Bibliology) ولكن هذا المصطلح لم يلق حظا من الشيوع، ووجد أيضاً مصطلح آخر منافس وهو (Booklore) ولكن لم يقدر له الانتشار. وعندما كتب (A. W. Pollard) مقالته حول الموضوع فى الطبعة الحادية عشرة من الموسوعة البريطانية عنونها بعنوان «الببليوغرافيا والببليولوغيا» (Bibliography & Bibliology).

وذكر والتر جرج (Walter Greg) (1875– 1959م) العالم الببليوغرافى، فى مرتين منفصلتين وفى خطابين له أمام «الجمعية الببليوغرافية» فى سنة 1912م، وسنة 1932م، انه يأسف لعدم انتشار المصطلح (Bibliology) بالرغم من انه يحدد مجال الدراسة بدقة أكثر من الكلمة الشائعة والمقبولة والتى انتشرت وهى مصطلح «ببليوغرافيا»(8).

ومع كل ما قيل عن المصطلح ببليوغرافيا من انه غير دقيق للتعبير عن مجال الدراسة، إلا أن هذا المصطلح هو الذى انتشر وذاع ولابد من قبول ذلك، وقد أكد (Walter Greg) على تعريف الببليوغرافيا بأنها «دراسة الكتب كموضوعات مادية بعيدا عن موضوعها أو محتواها الادبى». وهو يؤكد على الجانب المادى من الكتب، وبذلك يفرق بين الدراسة الببليوغرافية للكتب ودراسة محتواها الموضوعى أو الادبى، وفى سنة 1945م أكد (W.Greg) لنا على تعريفه من جديد(9).

واذا ما أردنا ان نأخذ فكرة عامة عن المعانى التى يستخدم فيها مصطلح

(8) Stokes, Roy. The Function of Bibliography. Second ed. Agrafton Book. 1982, P.3.

(9) Ibid. 4.

ببليوغرافيا، لوجدنا معجم المصطلحات الذى أصدرته جمعية المكتبات الأمريكية سنة 1943م يورد لنا أربعة معان لمصطلح الببليوغرافيا وهى[10]:

1 – دراسة الشكل المادى للكتب مع مقارنة الاختلافات فى الاصدارات والنسخ، كوسيلة لتحديد تاريخ النصوص ونقلها.

2 – فن وصف الكتب بصورة صحيحة بالنسبة لما يتعلق بالتأليف، والطبعات والشكل المادى.. الخ.

3 – اعداد قوائم الكتب، والخرائط.. الخ.

4 – قائمة كتب، خرائط.. الخ، تختلف عن الفهرس فى انها ليست بالضرورة قائمة لمواد فى مجموعة (Collection) أو مكتبة، أو مجموعة مكتبات.

وفى تقرير صادر عن مكتبة الكونجرس عام 1950م[11] تم تلخيص اهداف ووظائف الببليوغرافيا كما يلى:

أ – هدفها أن تجعل من الممكن للمفكرين العاملين فى حقل المعرفة والتعليم أن يعرفوا المنشورات ويسجلوا تطوراتها كل فى ميدان تخصصه واهتماماته ليس فقط ما ينشر منها فى قطره، ولكن حيثما تنشر فى أقطار العالم.

ب – تقديم بحوث وإقامة مشاريع ناجحة.

جـ – تقديم المعطيات للتنمية الحضارية ومتعة الفرد التى يمكن أن تعتمد على السجلات الحضارية ومصادر المعرفة.

(10) ALA. Grossary of Library Terms. Chicago: The American. Library Association. 1943. P. 11.

(11) Chakraborti. M. L. op. cit. p. 19.

د – المساعدة فى تحقيق الاستخدام المفيد للمعرفة الحاضرة وجعل تطبيق هذه المعرفة والاستفادة منها بغض النظر عن مصدرها طالما هى مفيدة للجميع.

وقد وسعت كل من اليونسكو ومكتبة الكونجرس تعريف الببليوغرافيا فى كتاب عنوانه «الخدمات والدراسات الببليوغرافية لمكتبة الكونجرس: الوضع الحالى وامكانية التحسين»(12). ان اجراءات اصدار قوائم ببليوغرافية بصورة منتظمة بخصوص السجلات المكتوبة أو المنشورة تؤكد على حاجات ضرورية للنظام والوصف الببليوغرافى، وتشير الى شمول مواد أخرى بجانب الكتب فى تلك القوائم فاصبحت هذه القوائم أكثر قبولا. ومع ذلك فان هذا التعريف، لا يقدم أية فروق جوهرية بين الببليوغرافيا وتجميع الفهارس المكتبية، والفرق عادة يكمن فى الحقيقة القائلة بأن الفهرس مختص ومتعلق بمحتويات مكتبة واحدة أو مجموعة مكتبات، ويصف هذا الفهرس نسخ الكتب الموجودة فى تلك المكتبة او مجموعة المكتبات، فى حين أن الببليوغرافيا لا تقتصر على هذا، لا سيما فيما يخص مواقع السجلات الموصوفة كما لا تصف النسخ المعينة من كل كتاب تمتلكه المكتبة.

والببليوغرافى فى الواقع مختص بالانتاج الضخم للفكر الإنسانى كما هو مسجل على الورق حيث ما يتمكن هذا الببليوغرافى من أن يعثر على هذه الأعمال لأن هدفه ليس ارشاد الباحث الى مضمون مجموعة معينة، ولكن هدفه هو مساعدة الباحث ان يجد طريقه فى خضم النتاج الفكرى الذى يزداد سنة بعد أخرى بصورة خارجة عن السيطرة. وهذه تكون إما بالاجابة

(12) Robinson. A. M. Lewin. Systematic Bibliography. Cive Bingley London: 1978. P - 11.

على أسئلة القراء أو الباحثين. وعلى سبيل المثال ما هى العناوين التى كتبت والتى يمكن الاستفادة منها فى هذا الموضوع؟، أو للاجابة على السؤال المعقد مثل أى نسخة أو نسخ من هذا الكتاب الذى أمتلكه يختلف عن بقية النسخ أو الطبعات؟.

ومن الوصف السابق فان هدف الببليوغرافيا ومعناها قد وضحا ولكى نزيل أى شك دعنا نصيغ هدفها كالتالى: (13) – «إن هدف الببليوغرافيا كما هى معروفة هنا هو مساعدة الباحث والمستفيد فى اكتشاف وجود كتاب أو كتب تم تحديدها، وغير الكتب من مصادر المعلومات والتى يمكن ان تكون ذات فائدة له».

ويحسن بنا أن نتفق على كيفية استخدام مصطلح لفظة ببليوغرافيا حيث يشيع بين الباحثين المكتبيين اتجاه نحو التفرقة بين ثلاثة معان أولها معنى واضح لانه يدل على الشخص الذى يؤدى ويمارس العمل الببليوغرافى، أما المعنيان الآخران فيستخدم لهما من اللغات الاجنبية وخاصة اللغة الإنجليزية لفظ واحد، ويحدث خلط فى اذهان الكثيرين بالنسبة للغات الاجنبية، وبالنسبة للغة العربية أيضا. فاذا استخدمنا مصطلح ببليوغرافيا فما الذى نقصده؟ هل نقصد قائمة بالمصادر ام هل نقصد العلم نفسه، أى علم الببليوغرافيا أم فن الببليوغرافيا؟ وغالبا ما يتضح المقصود من السياق، ولكن يظل الأمر محتمل الاضطراب لدى كثير من الاذهان. ولذا فمن المفيد ان نصطلح على استخدام الببليوغرافيا للإشارة الى الصفة الدالة على العلم تمشيا مع المصطلح العربى مثل جغرافيا، ديموغرافيا.. الخ، أى يفضل أن تستخدم المصطلح على النحو التالى:

(13) Ll. P. 13.

أ – البيبليوغرافية (A Bibliography) ويقصد بها القائمة وهى مفرد وجمعها ببليوغرافيات ونقصر استخدامها على كل ما يشمل القوائم البيبليوغرافية سواء فى نهاية الكتب أو نهاية فصول فى الكتب أو فى عناوين كتب الفهارس البيبليوغرافية.

ب – البيبليوغرافيا (Bibliography) ونقصر استخدامها بهذه الصورة على العلم نفسه، أو الفن الذى يهدف الى اعداد قوائم بالانتاج الفكرى تحقيقا لاغراض معينة، والصفة الدالة على العلم هى البيبليوغرافيا، وهى صفة لا تجمع . واستخدامنا لها بهذا المعنى مشابه لاستخدامنا لكلمات أخرى أجنبية الأصل.. نستخدمها فى اللغة العربية لتدل على العلم نفسه مثل كلمة « جغرافيا » أو « ديموغرافيا » .. الخ.

جـ – البيبليوغرافى (Bibliographer) وهو الشخص الذى يؤدى العمل، وصفة الجمع لهذا التعبير ببليوغرافيون وتقابل باللغة الانجليزية Bibliog-raphers.

وأوضح مما ذكرناه هنا، أن البيبليوغرافيا كعلم له قواعده وفلسفته يؤرخ لها بأوائل القرن التاسع عشر ، أما البيبليوغرافيا كفن وممارسة وتطبيق، فيمكن أن يؤرخ لها قبل ذلك بكثير – أى قبل عصر اختراع الطباعة – باعتبارها حصراً للنتاج الفكرى واعداد القوائم الخاصة به، وقد شاعت ممارسة اعداد قوائم الكتب فى أوروبا بعد اختراع الطباعة. وكانت هذه القوائم فى أول الأمر لا تعدو أن تكون الا مجرد قوائم بكتب المؤلفين وفهارس للمكتبات تذكر اسماء الكتب دون اختيار موضوعى ودون التزام بالدقة فى الوصيف أو تنظيم للقوائم. ولم تكن هذه المهمة تحتاج الى علماء لمعالجتها، ولكن بعد زيادة

النتاج الفكرى تحول المشتغل بالببليوغرافيا من مجرد كاتب يحصى أسماء الكتب الى عالم وباحث ودارس حتى يمكنه ان يتولى مهمة الوصف الببليوغرافى. وحاليا بعد وجود آلاف بل ملايين الكتب بات من المؤكد أن الدارسين والباحثين لا يمكنهم أن يشقوا طريقهم فى دروب المعرفة إلا عن طريق الببليوغرافيات. بل أصبحت الحواسيب الالكترونية تستخدم فى اعداد القوائم حتى يمكن مواجهة الزيادة فى النتاج الفكرى وحتى يصبح من المتيسر الضبط الببليوغرافى، وخزن واسترجاع المعلومات الببليوغرافية بسهولة ويسر.

هل الببليوغرافيا علم أم فن؟

كان الببليوغرافيون مختلفين منذ زمن حول: هل الببليوغرافيا علم أم فن عملى؟ أى هل الببليوغرافيا دراسة علمية مجردة أم عمل تطبيقى فقط على مجال من المجالات . وبالرغم من كثرة الجدل حول هذا الموضوع فمن المحتمل ان الحقيقة تقع فى مكان ما بين الاثنين (14). فالعلم يعنى الطريقة والمنهج . والفن يعنى العرض والتقديم، أى العرض الفعال المؤثر. فالفن يتضمن تسجيل الكتب والمواد المكتوبة الأخرى، أما العلم الضرورى لها فهو العلم المتصل بصناعة الكتب وتدوينها.. والعلم/ الفن فى الببليوغرافيا له جوانب متعددة فهناك الببليوغرافية التحليلية أو النقدية التى تؤدى بالدارس الى الببليوغرافيا التاريخية والتى تعالج وتدرس تاريخ الكتابة والطباعة والتصوير والتجليد.. إلخ.. وهذا كله يقع ضمن مجال الفن.

وبعض تعريفات الببليوغرافيا تصل الى ربطها بالعلم وتدافع عن أنها علم،

(14) Barmon. Robert. Elements of Bibliography: A Simplified approach. Metuchen: London: 1981. P. 4.

وبعض التعريفات الأخرى تتحيز الى الجانب الفنى، وقد سمى بعضهم البيبليوغرافيا علما وسماها البعض الآخر فنا. فليست البيبليوغرافيا فعلا علما مطلقا، وليست هى ايضا فنا مطلقا، ولكنها مزيج من الاثنين. فالعلم يعنى الطريقة والفن يعنى العرض المؤثر، فالبيبليوغرافيا الآن العلم والفن مسيطران معا، اى ان البيبليوغرافيا الآن هى علم وفن معا. فالفن هو فن تسجيل الكتب والعلم اللازم لذلك هو صناعة الكتب (15). وكما أوضحها (Esdaile) وأكثر من ذلك فان كل علم فى عرضه هو فن، وكل فن فى طريقته هو علم.

وتجد (Mlle Malclés) انه من الصعب أن نقرر فيما اذا كانت البيبليوغرافيا فناً أم علما.. وأخيرا تصل الى نتيجة مؤقتة تقول «إن البيبليوغرافيا الوصفية دون غيرها تقترب من كونها علما، فى حين أن غيرها (العددية) هى مجرد فن». أما رأى الكاتب (Robinson, A.) كما قد اقترح سابقا هو «نحن مختصون بالدرجة الأولى بالفن، ولكن هذا الفن يتطلب الكثير من علم الكتاب بالاضافة الى المعرفة فى اللغة والنتاج الفكرى ومن المهم مقارنة تحليل (Mlle Malclés) بتحليل البيبليوغرافى البريطانى (Sir Steven) والذى كتب قبل سبعين عاما فى كتاب عنوانه «هدف البيبليوغرافيا» فى السلسلة الرابعة رقم 13 عام 1932 بين الصفحات «225 – 228» فقسم الاعمال البيبليوغرافية الى خمس مراحل (16): –

(15) Chakraborti. M. L. op - cit - P . 3.

(16) Robinson, A. M. Lewin, op . cit. P. 12 - 18.

1 – التجميع.

2 – الترقيم.

3 – الوصف .

4 – التحليل.

5 – النتيجة .

فالتجميع والترقيم والوصف تتكون من اجراءات فنية محضة، فى حين أن التحليل والنتيجة هما مظهران علميان يدنوان من الناحية العلمية ويمثلان الببليوغرافيا الوصفية.

ومهما يكن من أمر فيمكننا أن نرى ان الجانب العلمى من الموضوع يؤدى بنا الى الناحية الفنية. وبالرغم من أنه ليس مهما كثيرا ما اذا كنا نسمى الببليوغرافيا فنا أو علما، تقنية أو مهارة لأن قيمة الببليوغرافيا لاتتوقف على تسميتها او على الرتبة واللقب الذى نمنحه لها. ولكن قيمة الببليوغرافيا تستند على الخدمة التى تقدمها للدارسين والباحثين، بل وحتى القراء العاديين فهذا هو جوهر الموضوع، أما النزاع هل هى علم أم فن والجدل الطويل حول ذلك فلا قيمة كبيرة له لأن صلب الموضوع هو فى الفوائد التى تقدمها الببليوغرافيا للباحثين (17).

الببليوغرافيا والتوثيق:

الببليوغرافيا تعنى كما عرفنا تجميع معلومات عن مصادر المعلومات، ويتضمن البحث الببليوغرافى مشكلات تتصل بالتحقيق الببليوغرافى، واستيفاء المعلومات والبيانات الببليوغرافية عن مرجع من المراجع او كتاب من

(17) Harmon, Robert. op. cit - P. 4.

الكتب كتاريخ نشره أو معرفة عنوانه بدقة أو عدد صفحات المطبوع أو عدد اجزائه أو مجلداته وغير ذلك من البيانات الببليوغرافية التى تدخل فى تكوين العناصر الوصفية للمطبوع ، وهنا يحتاج الى التوثيق.

والتوثيق يعتبر فرعا متميزا من فروع علوم المكتبات، ويجدر بنا ان نعرف التوثيق. فالتوثيق وفقا لقاموس وبستر «هو تجميع المعرفة المسجلة وترميزها وبثها، على ان تعامل هذه المعرفة بطريقة شاملة وباجراءات متكاملة ومع الاستعانة بعلم المعانى والوسائل النفسية والآلية، وبأساليب التصوير العادى والمصغر، وذلك حتى تنال المعلومات الوثائقية أكبر قدر من الاتاحة والاستخدام. أى أن كلمة توثيق مثلها مثل كلمة مكتبات تقوم على الوظائف الاساسية وهى: الاقتناء والتنظيم والخدمة»(18). ويعرف جيس شيرا التوثيق بأنه جزء من التنظيم الببليوغرافى، الذى يخدم حاجة العلماء، ووظيفته هى توسيع تدفق المعلومات المدونة بين مجموعة من المتخصصين أو بين مجموعات من المتخصصين.

أما تعريف رانجانا ثان (1963) فربما كان من أوضح التعاريف الاجرائية التى تدل على عمليات التوثيق فى ذلك الوقت حيث يقول: من الممكن تعريف التوثيق على انه «العمليات التى ينطوى عليها تيسير الإفادة من المعلومات الحديثة من جانب المتخصصين، ثم تقديم الخدمات المتخصصة الشاملة السريعة الخاصة بالمعلومات الدقيقة الحديثة، فى عدد متزايد من الموضوعات المتخصصة والتى تنشر فى عدة آلاف من الدوريات»(19).

---

(18) سعد محمد الهجرسى. التوثيق ودراسته فى علوم المكتبات. مجلة الثقافة العربية – ع 2، القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 1974 م. ص 153.

(19) أحمد بدر. دراسات فى المكتبة والثقافتين. القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1978. ص 63– 64.

فالتوثيق يتضمن ترتيب وتنظيم وتصنيف المعلومات وتلخيص هذه المعلومات او استخلاصها أحيانا ثم نشرها وتوزيعها على المستفيدين وتقديم مصادر المعلومات الى من يريدها بشكل يلبى حاجات الباحثين، ومن هنا فإن التوثيق يتضمن كل خدمات المراجع فهو يشمل عمل المستخلصات عن أحدث البحوث والدراسات والتقارير والاستكشافات ثم توزيعها على المتخصصين فى مراكز البحوث ومحطات التجارب وغيرها من نقاط الدراسة المتعمقة الكاشفة، لأن هؤلاء بدورهم يتابعون بحوثا فى نفس المجال او بوجه أصح فى نفس الموضوع ولنفس الهدف (20).

ان تعبير ببليوغرافيا كما رأينا له معان واسعة بالنسبة للدارس والباحث على السواء، ويشمل هذا التعبير جميع موضوعات علم الكتب كوحدات طبيعية ملموسة من ناحية تاريخها وتطور أشكالها، ثم مواد تركيبها وطرق تركيبها، ثم طريقة وصفها وتسجيلها فى قوائم. ويختلف مشاهير الببليوغرافيين قليلا فى تسمياتهم للفروع المختلفة للموضوع فى حين ان (Esdaile) وغيره قسموه الى ثلاثة أقسام:

1 – التاريخية «وتتضمن تاريخ الطرق المختلفة لانتاج الكتاب بما فى ذلك الطباعة والتزيين».

2 – التحليلية «تتكون من التحليل المفصل لتركيب الكتاب ثم وصفه».

3 – النسقية «والتى يمكن أن تعرف بصورة إعداد، كاحضار قوائم الكتب وباختصار تجميع القوائم الببليوغرافية.

---

(20) أحمد أنور عمر. مصادر المعلومات. القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ادارة التوثيق والمعلومات، 1977 «سلسلة دراسات عن المعلومات، (5) ص 68.

فى حين ان جرج وبسترمان يربطان التحليلية والتاريخية تحت تعبير واحد وهو «النقدية»، ولكن الجميع اتفقوا على التعبير الثالث «النسقية».

وفى الواقع ان جرج يعتبر هذه الأخيرة خاصة بالببليوغرافيا الصحيحة فقط، وأن تطبيق النسقية هو مجرد عبء ثقيل. وفى هذا التعبير فان بقية الببليوغرافيين مثل بسترمان، وبولارد، وستيفن جاسلى Besterman, T, Pollard, A. W. and Stephen Gaselee لا يؤيدونه فى هذا (21).

ووفقا للمسح الببليوغرافى الذى قامت به مكتبة الكونجرس بالاشتراك مع منظمة اليونسكو والذى أعده فان كلاب(22) نلاحظ التوسع فى التعريف ليصبح: «اسلوب إنتاج القوائم الببليوغرافية الوصفية للسجلات المكتوبة أو المنشورة بطريقة منهجية». ويفضل هذا التعريف حيث أنه يؤكد الحاجة الجوهرية الى النظام والوصف، ويشير الى تضمين مواد أخرى غير الكتب.

وهناك فرق واضح بين التاريخية والتحليلية من فروع الببليوغرافيا، ولكن كلتيهما يرجعان الى علم يقوم على البحث الصحيح، فى حين ان الببليوغرافيا النسقية هى اجراء فنى أو فن يعتمد على تطبيقها. فالفروع الثلاثة متداخلة جدا ومتشابكة، وان الببليوغرافى المثقف غالبا ما يكون قادرا على مساعدة الباحثين فى تحقيق مصداقية أو صحة الكتاب أو الترتيب الزمنى لطبعاته المختلفة معتمدا على أساليب مثل تجليد الكتاب أو طبيعة الورق الذى طبع عليه. وأن هذه عناصر تقدم مساعدة لا تقدر بثمن فى نقد النصوص، وان بحثا من هذا القبيل بحث طبيعى، ولكن ما هو مدى اهمية

(21) Robinson, A. M. Lewin. op. cit. P. 9.

(22)V.W. Clapp. Bibliagraphical Services. their Present. state and Possililities of improvement, Washington Dc, 1950.

خدمته للباحثين فيما اذا كانت نتائجه – مسجلة بموجب قوانين عامة معترف بها – وكانت هذه النتائج منظمة بكل دقة وانتظام مع اشكال وأنواع الببليوغرافيا الأخرى(23).

أ – الببليوغرافيا التاريخية:

يتعلق هذا النوع من الببليوغرافيا بتاريخ الكتاب بصورة عامة. وأن التاريخ بهذا الصدد يشمل كل ما قد حدث بخصوص ميادين الببليوغرافيا والاهتمامات بها، وصناعة الكتاب، وبالدرجة الأولى الكتاب المطبوع.

وإن الكثير من المتخصصين فى هذا المجال يعتبرون هذا الفرع من الببليوغرافيا موضوعا ثانويا يتعلق اكثر ما يتعلق بالببليوغرافيا الشاملة وليس بالدراسات الببليوغرافية الجدية أو المهمة.

ولكن هذا الاتجاه أو المنحى ناجم عن سوء فهم لدور التاريخ والببليوغرافيا التاريخية وكان لهذا ضرر كبير. وكما يتصور البعض فان التاريخ لا يتكون من احداث منفصلة تم ربط بعضها ببعض فى نوع من الأسلوب القصصى. وإن القليل من المتخصصين يرغبون فى استيضاح الحجج القائلة بان الحقائق المهمة تكون ذات معطيات مهمة، وان هذه الحقائق هى المادة الخام للتاريخ وليس التاريخ نفسه. ان هذه الفكرة قد اصبحت واضحة للعيان خلال القرن التاسع عشر وخاصة خلال الفترة التى كانت تمر فيها الدراسات التاريخية بتغييرات جوهرية.

وان الكثير من رجال الفكر فى ميادين التاريخ وعلى الاخص مايسمى بالمؤرخين العالميين قد كرسوا الكثير من جهودهم فى هذا الميدان. وخلال

(23) Ibid. P. 10.

القرن التاسع عشر نجم اهتمام متزايد بخصوص صحة أو مصداقية الوثائق الاصلية المتعلقة بالاحداث التاريخية. وأدى هذا الاهتمام إلى تأسيس مكتب السجلات العامة فى إنجلترا، كما أدى كذلك الى اهتمام حقيقى بحفظ الوثائق التاريخية (24). وفى الوقت نفسه كانت هناك نشاطات مماثلة فى علم اللغات والدراسات الأدبية نتيجة لظهور بعض المصادر الاساسية مثل معجم (Grimm) ومعجم اكسفورد للغة الإنجليزية وغيرهما من الاعمال العلمية الصادرة عن جمعية الكتب الانجليزية السابقة . فهذه الكتب وغيرها ذات المضمون المشابه ولدت شعورا جديدا بأهمية المواد العلمية القيمة(25).

وبخصوص الدراسات التاريخية فان كتاب (Bishop Stubbs) والمعنون « وثائق مختارة، الصادر عام ١٩٧٠ » كان فى فترة ما يعتبر الذروة فى هذا الموضوع كما أنه كان المنطلق لاصدار الكثير من الكتب القيمة فى هذا الموضوع .

وان البيبليوغرافيا التاريخية ليست متعلقة بالكتاب فقط بمعناه الحديث المحدود « الكتاب المطبوع » المعروف لنا خلال الخمسمائة عام الماضية. وحسب آراء جرج (Greg) فان الكتاب هو « أى نوع من سجل متكون من رموز لغوية (26) وان قطع الآجر ولفافات البردى وغيرها من النسخ المطوية والألواح ذات السطوح الشمعية والمخطوطات على أى وسط ما، فان جميعها تعامل معاملة الكتاب المطبوع وانها تكون موضوع البحث البيبليوغرافى.

(24) Stoles. Roy. op. cit. P. 138.
(25) Ibid. P. 138.
(26) Ibid. p. 139.

وحتى نقوش الجدران يمكن ان تدخل فى هذه الدراسة باعتبارها كانت المحاولات الأولى لتوصيل الآراء وليس فقط لتقديم الزخارف. وان توصيل الآراء هو الهدف من هذه المواد، وبذلك تكون ضمن الببليوغرافيا.

والببليوغرافيا التاريخية تعنى أصلا بدراسة تاريخ الكتاب.. ولما كان الكتاب عبارة عن رسالة فكرية تسجل على وسيط خارجى قابل للتداول والتناول بين الناس برمز معين. فان تاريخ الكتاب او الببليوغرافيا التاريخية من هذا المنظور تقوم على ثلاثة محاور هى: (27).

أ – الرمز الذى سجلت به المعلومات . وهذا الرمز قد يكون الكتابة بكل أشكالها وقد يكون الصوت أو الصورة أوهما معاً. كما قد يكون الرمز هو شفرة الحاسوب او شفرة الليزر.

ب – الوسيط والأداة التى سجلت عليها وعن طريقها المعلومات. وهذا الوسيط قد يكون من المواد الطبيعية التى وجدها الإنسان فى بيئته او قد يكون من المواد المصنعة التى يكون الإنسان قد أنتجها خصيصا لهذا الغرض. كذلك فإن الأدوات التى استخدمها الإنسان لتسجيل المعلومات على الوسيط قد تكون أدوات تقليدية كالقلم والحبر وقد تكون ادوات مستحدثة كالطباعة او شعاع الليزر.

جـ – المعلومات او الرسالة الفكرية التى اراد المؤلف ان يرسلها الى المستقبل «القارئ» وهو ما يعرف فى تاريخ الكتاب باسم التاريخ الفكرى او تاريخ

(27) شعبان عبدالعزيز خليفة: الببليوغرافيا أو علم الكتاب. دراسة فى اصول النظرية الببليوغرافية وتطبيقاتها النظرية العامة، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1996 ص 132 - 133.

العلم. والتاريخ الفكرى يعالج ثلاثة أبعاد فى الرسالة الفكرية: الموضوع أو الفرع كيف نشأ الموضوع وكيف تطور، أهم المؤلفين فى الفرع مع ارتباطهم بالتطور الزمنى، ثم أهم الكتب التى انتجت فى الموضوع مع ارتباطها بالتطور الزمنى للفرع وأيضا بالمؤلفين فى هذا الفرع.

ب - الببليوغرافيا التحليلية النصية:

بينما تفهم الببليوغرافيا عادة على انها مرشد للمعلومات الا ان لها تعريفا آخر أقدم من ذلك، وهو الدراسة التفصيلية للشكل المادى للكتاب وقد عرفت باسم: الببليوغرافيا التحليلية. وهى التى تهتم بالوصف المادى للكتاب، وأما الببليوغرافيا النصية فتذهب خطوة أخرى أبعد من مجرد الوصف المادى فتهتم بالاختلافات النصية بين المخطوط والكتاب المطبوع وبين الطبعات المختلفة للكتاب الواحد. ويرتبط عادة هذان الجانبان معا فى شكل من اشكال البحث العلمى، ومن هنا سمى هذا النوع باسم: الببليوغرافيا التحليلية النصية (28).

ويلاحظ انه منذ القرن الثامن عشر كان يقصد بالببليوغرافيا تحليل ووصف الكتب كأشياء مادية، وبهذا المعنى ارتبطت الببليوغرافيا بتعيين وتحديد الطبعات الأولى وأفضل الطبعات.

وفى القرن التاسع عشر حدث توسع فى معنى الببليوغرافيا وأصبحت تشمل أيضا دراسة تاريخ الطباعة وجمع الكتب وما شابه ذلك من موضوعات.

(28) Katz. William A. Introduction to reference Work. Vol. 1. Bastic Information Souroes. 2. nd. ed - New York: Mc Graw. Hill. 1974. P 31.

وأما فى القرن العشرين فقد تركز الاهتمام حول العمليات التقنية لدور الطباعة مثل دراسة اصلاح الطبعات والطبعات المسروقة وأساليب الطابعين .. الخ.

ودراسة الطباعة والشكل المادى للكتب يسمى ببليوغرافيا تحليلية أو نقدية (Critical or Analitical) أما الوصف التفصيلى والشكلى للكتب القائم على هذا النحو من التحليل التفصيلى فيسمى : Descriptive Bibli-ography.

وتطبيق هذه المناهج والأساليب على النقد النصى ويسمى ببليوغرافيا نصية بالرغم من أن هناك بعض الدارسين الذين يعتبرون النقد النصى موضوعا واسعا ومستقلا. وقد أصبحت الببليوغرافيا موضوعا للدراسات الاكاديمية، وقد نمت المعرفة الببليوغرافية وحدثت مظاهر للتقدم الكبير فى المعرفة بفن الطباعة وأصبحت موضع دراسات علمية. وهذا النوع من البحث مكرس لاكتشاف كل شيء ممكن حول الهدف النهائى الذى كان يقصده المؤلف من اجل الوصول الى هذا الهدف. فقد توجد مجموعة من الببليوغرافيين لاتتخصص فى أمور متعددة كأن تهتم بأساليب وممارسات الطباعة، وقد تهتم مجموعة أخرى بدراسة الورق وكل ما اتصل بذلك من العلامات المائية فى الورق الى صفحات عناوين الكتب، وكمثال على هذا النوع من التعاون هو مركز الطبعات للمؤلفين الأمريكيين: (Center of Education for American Authors) وهو هيئة تعنى الى حد كبير بتنقية وإعادة اكتشاف النصوص التى كتبها المؤلفون الأمريكيون من « ملفيل الى

همنغواى» وحاصل دراسات هذا المركز هو التعرف على أصح الطبعات لغالبية المؤلفين الأمريكيين الكبار(29).

وهناك فرق واضح بين البيبليوغرافيا التحليلية والنصية. والفرق الاساسى هو ان البيبليوغرافيا التحليلية تهتم أكثر بالجوانب المادية للكتاب بقصد استنباط الاتجاهات العامة لانتاجه فى زمن معين او مكان بالذات .ويدخل فى الملامح المادية على سبيل المثال صفحة العنوان، والهوامش، والترقيم، وابناط الطباعة، والورق وعلاماته المائية والزخارف وحرد المتن وما اليها .

بينما البيبليوغرافيا النصية تهتم أكثر بنص كلمات المؤلف ودراسة نص المؤلف وانتقاله من جيل الى جيل ومن مكان الى مكان داخل الجيل الواحد، كما تعنى بدراسة العلاقات بين النصوص المختلفة من انتحال ونحلة واختيار واختصار وشرح وتعليق وتقرير وتبصر ، كما تدخل البيبليوغرافيا النقدية فى اساسيات الانتاج الفكرى للنص من تأليف وتصنيف وصنعة وعمل وجمع. ومن صميم عمل البيبليوغرافيا النقدية دراسة العلاقات القائمة بين الطبعات المختلفة من العمل الواحد.

وعن طريق البيبليوغرافيا النقدية يمكن نسبة الاعمال المجهلة الى اصحابها. كما انه عن طريق البيبليوغرافيا التحليلية يمكن نسبة انكتاب الى ناشره او طابعه. وهما معاً يساعدان فى تحقيق ذاتية الكتاب وهويته.. وتمييز الطبعات المزورة من تلك الشرعية(30).

ولابد ان تعمل الدراستان معا وجنبا الى جنب، بالرغم من وجود فوارق بينهما ولكل نوع من التحليلية او النصية خبراؤه المتخصصون.

---

(29) Ibid.

(30) شعبان عبدالعزيز خليفة: مصدر سبق ذكره، ص 133 – 134.

ويقول (Walter Creg) انه فى جذور كل أنواع النقد الأدبى تكمن مشكلة الانتقال (Transmission) والببليوغرافيا وحدها هى التى تعيننا على معالجة هذه المشكلة. ويضيف ان الكتب هى الوسائل المادية التى ينتقل بها الأدب.

ومن ثم فان الببليوغرافيا اى دراسة الكتب هى فى جوهرها علم انتقال الوثائق الأدبية، وبذلك يكون (Greg) قد اعاد الى الأذهان قولا سابقا لبعض الباحثين بأن الببليوغرافيا هى «نحو البحث الأدبى».

واهم الكتب التى تتناول الببليوغرافيا بهذا المعنى هما كتابان شهيران، الكتاب الأول: R. B. Mc Kerrow .An Introduction to Bibliography, 1927.

ويعتبر الآن كتابا كلاسيكيا فى موضوعه والذى صدر سنة ١٩٢٧م بعنوان مقدمة للببليوغرافيا.

والكتاب الثانى الحديث والذى يعتبر تكملة وامتدادا له وهو كتاب:

Philip Gaskell: A New Introduction to Bibliography

بعنوان مقدمة جديدة للببليوغرافيا وصدر سنة ١٩٧٢م.

ودراسة الببليوغرافيا بهذا المعنى الواسع الذى ذكر سابقا والذى يبحث عن أى الطبعات أصح وما شابه ذلك أمر على غاية من التعقيد والتخصص.

جـ - الببليوغرافيا النسقية الحصرية:

يمكن تشبيه القائمة الببليوغرافية بخريطة أو برسم بيانى، فهى تصلح لأن تكون مرشدا ودليلا للمكتبى فى عالم الكتب المضطرب والواسع العريض، وكذلك فى مجال الاشكال الأخرى من وسائل الاتصال ومصادر المعلومات. فكما انه ليس هناك ملاح عاقل يمكن ان يبحر فى البحر دون أن يكون معه خريطة أو رسم بيانى، فكذلك لا يمكن لمكتبى حديث أن يأمل

(31) Kat 3. William A. op. cit.

أن يؤدى دوره بفاعلية دون أدلة ببليوغرافية(32).

ومن جهة أخرى نظرة المستفيد الذى قد لا يدرك الفروق الدقيقة فى الببليوغرافيا، فإن الببليوغرافيا تلبى حاجة أساسية، فهو قد يعرف ماذا يريد، ولكنه ليس متأكدا من وجود ما يحتاجه والأهم من ذلك أين يجد ما يحتاج اليه، والببليوغرافيا هى التى تقدم له الاجابة على ما يريد.

وان طلب كتاب عن طريق عنوانه أو مؤلفه أو موضوعه لهو سؤال عادى. وفى العادة فان فهرس المكتبة البطاقى هو المكان الطبيعى للاجابة على مثل هذا الطلب، وقد يكفى هذا فى غالبية الأحوال، ولكن فهرس المكتبة البطاقى لا يفيدنا إذا كان المطلوب هو جزء فى داخل كتاب ما، أو إذا لم يكن الكتاب موجوداً فى المكتبة او عندما يكون المطلوب نوعا من المواد التى قد لا تكون مدرجة فى الفهرس مثل المنشورات والنشرات والمطبوعات الصغيرة.. الخ. اضف الى ذلك أن هذا المستفيد قد لا يكون دقيقا ولا يعرف العنوان الصحيح أو المؤلف، وقد يجد أنه من المستحيل أن يتغلب على الصعوبات فى نظام الفهرسة. وعند هذه النقطة فانه يحتاج فى يأس الى مساعدة أمين المكتبة الذى عليه بدوره أن يلجأ الى الأدوات الببليوغرافية الأخرى ليحدد مكان المادة المطلوبة(33).

وهذه هى فى واقع الأمر الوظائف العملية للببليوغرافيا التى قد تعرف ببساطة على انها قائمة جيدة التنظيم، وقد تكون هناك تعريفات متعددة وخلاف وجدل حول هذه التعريفات، وبصرف النظر عن شكل هذه القوائم فإنها تكون فى العادة حصرية (Enumerative) ، أى أن هناك نوعا من

(32) Ibid. P. 25.
(33) Ibid.

عمليات الاختيار لتقرير ما يدرج وما لا يدرج فى هذه القائمة، وأيضا فإنها تكون بوجه عام نسقية أو منهجية أو منظمة (Systematic)، بمعنى أن المادة تكون مرتبة فى شكل متناسق « ومن هنا جاءت تسمية هذه البيبليوغرافيا بـ « البيبليوغرافيا النسقية والحصرية ») .

- **البيبليوغرافيا التطبيقية / النسقية الحصرية** :(34) .

يعتبر هذا النوع من أوسع شعب البيبليوغرافيا نطاقا إذ يندرج تحتها :

أ – الضبط البيبليوغرافى، بشقيه الأسس والقوائم: حيث يعنى الضبط البيبليوغرافى بدراسة أسس ومعايير إعداد القوائم من حيث الحاجة والهدف، وتحديد الحدود، طرق التنظيم، الأسلوب البيبليوغرافى، جمع المفردات، انتاج القوائم، التنظيم الجانبى . ويدخل فى الضبط البيبليوغرافى دراسة الثمرة نفسها أى القوائم المنشورة بالفعل سواء تلك التى تغطى منطقة جغرافية او نوعاً معينا من الانتاج الفكرى، أو تغطى هدفا معينا أو تسعى إلى تحقيق وظيفة بالذات .

ب – التوثيق: يرى البعض بان الضبط البيبليوغرافى ينبغى ان ينصرف فقط الى التسجيل الخارجى لاوعية المعلومات ايا كانت تلك الأوعية، بينما التوثيق يجب ان ينصب على التحليل الداخلى للمادة العلمية وخاصة فى الدوريات . ولذلك يرون أن التوثيق يضم تحت لوائه التكشيف والاستخلاص وثمارهما من كشافات ومستخلصات على ان تكون فلسفة التكشيف والاستخلاص هى المقابل لاسس ومعايير الضبط البيبليوغرافى بينما الكشافات والمستخلصات هى المقابل للقوائم او البيبليوغرافيات ثمرة الضبط البيبليوغرافى .

(34) شعبان عبدالعزيز خليفة: مصدر سبق ذكره ، ص 134 – 136 .

جـ – الببليومتريقا: القياس الببليوغرافى: وهذا الفرع من فروع الببليوغرافيا التطبيقية يعنى بدراسة الاتجاهات العددية والنوعية للانتاج الفكرى سواء فى شكل معين او موضوع محدد او مزيج بينهما او فى مكان محدد او لفئة محددة من المؤلفين . وقد يستخدم أى من قوانين الببليومتريقا المعروفة فى تلك القياسات مثل قانون برادفورد، زيف أو لوتكا، كما قد تتم هذه الدراسات بدون مثل هذه القوانين.

د – العلاج بالقراءة (ببليوثيرابى): وذلك باستخدام القراءة فى علاج الامراض النفسية وبعض الامراض العضوية او على الأقل استخدام القراءة فى التخفيف من آثار تلك الامراض والمشكلات النفسية والعضوية.

هـ – تقانين الوصف الببليوغرافى: تتعلق تقانين الوصف الببليوغرافى عادة بجزءين هما المدخل وبيانات العمل.

وفيما يتعلق بالمدخل هناك قواعد اختيار المدخل الرئيسى وقواعد اختيار المداخل الاضافية . كما تتعلق تلك القواعد الخاصة بالمدخل بطريقة صياغة المدخل نفسه. وقد يكون المدخل بالمؤلف الطبيعى أو المؤلف المعنوى، و قد يكون المدخل باسم منطقة جغرافية كما قد يكون بالعنوان او السلسلة.

اما بيانات العمل فتتناول عنوان العمل الرئيسى والفرعى والبديل والموازى على السواء، كما تتناول العلاقات المختلفة – بالمادة العلمية سواء بالتأليف او الترجمة او التحقيق او الرسم او الجمع او الاختيار او المراجعة. ويدخل فى بيانات العمل ايضا بيان الطبعة اى رقم الطبعة وصفتها. وبيانات النشر بالمكان والناشر وتاريخ النشر.. الخ.

الحاجة الى الببليوغرافيات النسقية والمكتبيون

أولاً : الحاجة :

أصبح من الشائع الآن كما اشرنا أنه عندما يتحدث المكتبيون عن الببليوغرافيا، فانهم يعنون فى الغالب الأعم الببليوغرافيا النسقية الحصرية، أى قائمة بالكتب أو الأشرطة المرئية أو التسجيلات . . الخ . والهدف من هذه القائمة هو أن تساعد المستفيد فى الوصول الى المادة أو المواد التى يريدها، أى تحديدها وتعيينها أو معرفة مكانها أو الاختيار من بينها، إذ تفرض نوعا من التنظيم على هذا الحجم الكبير من الموضوعات والعناوين .

اذ أن المعدل الراهن لما ينشر على المستوى القومى والعالمى بات من الضخامة بحيث يتزايد تقريبا بسرعة ثلاث مرات قدر نمو سكان العالم، وبينما يموت السكان فان الكتب تبقى فى مكانها على قيد الحياة .

والأمر الذى يشغل الببليوغرافيين حاليا هو أن نشر الكتب والنتاج الفكرى بشكل عام من الكثرة بحيث يتجاوز مقدرتنا الحالية على السيطرة عليه وضبطه مما يسبب مشكلة تكمن أهميتها فى[35] :

1- زيادة تراكم المعلومات، واتساع نطاق استخدامها فى كافة مجالات النشاط البشرى .

2 - الحاجة الى وسائل لتخزين البيانات المتزايدة، وإتاحتها لاكبر عدد ممكن من المستفيدين باسرع وقت ممكن .

(35) حسن عماد مكاوى . تكنولوجيا الاتصال الحديثة فى عصر المعلومات . القاهرة : الدار المصرية اللبنانية 1993 ص 20 .

3 – ترشيد استخدام قنوات الاتصال الجديدة لفائدة اكبر عدد ممكن من الجماهير.

4 – الاستفادة من خبرات الدول المتقدمة فى استخدام وسائل الاتصال الجديدة لتحقيق مجتمع المعلومات الذى يتيح الاتصال الفعال لكل قطاعات الجمهور، وامدادهم بالاعلام والثقافة والترفيه.

ولنتأمل ونفكر فى بعض هذه الحقائق التى تعبر عن ضخامة النتاج الفكرى:

* من سنة 1955 – 1975 م «أى فى مدى عشرين سنة» تزايد عدد العناوين من 269000 عنوان الى 568000 عنوان: وصل خلال العام 1996 الى ما يربو على 800 ألف عنوان.

* بينما كان هناك عشرة آلاف دورية تنشر سنة 1900م، فإن اليوم هناك أكثر من مليون دورية.

* فى بعض التقديرات تتضاعف المعلومات فى عصرنا كل 10 أو 15 عاما وهناك من يرى أن معدل النمو السنوى للانتاج الفكرى يتراوح ما بين 4 ٪ – 8 ٪.

كما تشير الاحصاءات الى ان الانتاج السنوى من المعلومات المقدر بعدد الوثائق المنشورة يصل ما بين 12 – 14 مليون وثيقة. وان عدد الاشخاص الذين يساهمون فى هذا الانتاج بشكل أو بآخر يتراوح ما بين 30 – 35مليون شخص، وقد بلغ رصيد الدوريات على المستوى الدولى ما يقرب من مليون دورية، يضاف اليها كل عام ما يقرب من 15 ألف دورية جديدة(36).

(36) حسن عماد مكاوى. المصدر السابق ، ص30.

وهناك جدل كثير حول المقدار او الكمية الدقيقة من المعلومات التى سوف تنتج فى السنوات القادمة. وأيا ما تكون الاختلافات حول هذه التقديرات الا انه من المؤكد أنها سوف تكون ضخمة فى كميتها وان لم يكن فى كيفيتها، ونوعيتها، فليست العبرة فى رأى البعض فى الكمية ولكن المهم النوع.

والذى يعنى المكتبيين والموثقين هو كيف يسيطرون على ما يسمى بتفجر المعلومات، وإن لم يكن هناك تعريف متفق عليه تماما عن التوثيق، الا أننا يمكن أن نعرفه بأنه اتجاه من الضبط الببليوغرافى يقوم به المتخصصون:

"It may be called an approach to Bibliographical Control by Specialization" (37).

وإذا لم نكن بقادرين على السيطرة الكاملة على كل كمية المعلومات فعلينا أن نقصر سيطرتنا على مجال علمى محدد وعلى أشكال معينة من الاتصال بالنسبة للمستفيدين فى مجال واحد متخصص.

ثانيا: المكتبيون واستخدام الببليوغرافيات

تلبى الببليوغرافيات بالنسبة للمكتبيين الحاجة الى الضبط والوصول الى المعلومات، ومن ثم فلابد أن تكون الببليوغرافيات مشتملة على ثلاثة عناصر هى:

(أ) الكمال (Completeness)

على المكتبى أن يصل – سواء كان فى ببليوغرافية مفردة أو مجموعة من الببليوغرافيات – إلى الوثائق الكاملة فى كل مجالات الاهتمام وليس ذلك

(37) Katz , William. op. cit. P 27.

فى حدود ما هو متيسر الآن، بل وما نشر فى الماضى وما ينشر اليوم وما هو مقترح نشره فى الغد، وكذلك يمكن أن تتسع هذه الشبكة لتضم العالم وليس ما نشر فى قطر معين.

(ب) الوصول إلى الجزء Access to a part

يفكر المكتبيون عادة فى الببليوغرافيات فى اطار الوحدة الكلية مثل الكتاب او الدورية أو المخطوط وما شابه ذلك، ولكن الببليوغرافية الكاملة ينبغى أن تكون تحليلية بحيث تسمح للمكتبى بأن يصل الى وحدة معينة كأصغر جزء من العمل (38).

(ج) الاشكال المختلفة (Various Forms)

تعتبر الكتب هى العنصر الاساسى فى معظم الببليوغرافيات، ولكن الأداة الببليوغرافية الشاملة ينبغى أن تشمل كل أشكال الأوعية الفكرية التى تنشر، من التقارير والوثائق الى آخر المستحدثات التقنية.

وليس من المتيسر توفر هذه العناصر الثلاثة بتمامها فى أية ببليوغرافية بحيث تكون اداة فعالة للوصول الى مصادر المعلومات. وفى الغالب فان الببليوغرافيا تكون عملية توفيق بين هذه العناصر الثلاثة. وهنا يظهر لنا السؤال التالى: كيف يتعامل المكتبى الذى أمامه الببليوغرافيات يوميا معها ولماذا يستخدمها؟

علينا أن نعرف أولا أن الغرض من الببليوغرافيا بالنسبة للمكتبى هو

(38) Ibid.

obeikandl.com

مساعدة الباحث على اكتشاف وجود أو تحديد ذاتية الكتب أو المواد الوثائقية الأخرى التى قد تكون موضع اهتمامه. ويمكن القول – وبصرف النظر عن شكل الببليوغرافيا – أن المكتبيين يستخدمون الببليوغرافيات لثلاثة أغراض رئيسية هى:

(أ) التعريف والتحقيق (To Identify and Verify)

تعطى الببليوغرافيات عادة معلومات عن الكتب مقننة كالتى نجدها فى معظم الفهارس (المؤلف – الطبعة «إذا كانت غير الطبعة الأولى» – مكان النشر – تاريخ النشر – التوريق «أى عدد الصفحات والرسوم الإيضاحية والحجم» – بيان السلسلة – وأحيانا يوضع الثمن). ومنذ العام 1970م أضيف عنصر جديد الى معظم الببليوغرافيات وهو الرقم الدولى الموحد للكتاب (ISBN). ولكى يحدد المكتبى ويحقق أى عنصر من هذه العناصر التى أشرنا اليها عن أى كتاب من الكتب، عليه ان يرجع الى الببليوغرافية المناسبة التى تجيبه عن المعلومات عن الكتب التى يريدها.

(ب) المكان (To Locate)

يمكن أن يكون المقصود بالمكان هو أين نشر الكتاب أو أين يجده فى مكتبة من المكتبات، أو من أين يمكن شراؤه.. الخ، ومن وجهة نظر رواد المكتبة والمستفيدين منها فإن من المناسب لهم البحث تحت الموضوع، أى ما هو المتيسر فى هذا المجال من الموضوعات سواء كان ذلك كتابا أو دورية أو مقالا أو تقريرا... الخ[39].

(39) Ibid. P 28.

(ج) الاختيار (To Select)

ان الهدف الأول للمكتبة هو أن تكون مجموعة مفيدة من الكتب أو من المواد المكتبية وهذا يفترض مسبقا اختيارا واعيا. ولمساعدة المكتبى فى عملية الاختيار هذه فإنه توجد هناك ببليوغرافيات تدله على ما هو متاح فى أى مجال من مجالات المعرفة، ولأى كاتب من الكتاب ، وفى أى شكل من الأشكال لأوعية المعرفة، ولأى نوع من القراء هى مناسبة، وبذلك يمكن أن تفيده مثل هذه الببليوغرافيات فى الاختيار.

obeikandl.com